بعض مما كتب عن الشهيد

أبو سريع القضية والموقف

أحمد سعدات (أبو غسان)

حين حاولت اختيار بداية للحديث عن الشهيد عيسى عابد تملكتني الحيرة هل أبدأ باقتباس العبارات من مقولات غسان كنفاني أم يوليوس فوتشيك أم جيفارا ... أم غيرهم من النماذج التي قدمت حياتها ليحيى الآخرين بعزة وكرامة ... وسبب هذه الحيرة أن للرفيق مكاناً في جميع كتابات هؤلاء القادة... فهو إنسان غير عادي أقول هذه العبارة وأنا مطمئن أنها تخرج من فمي وترتسم أحرف كلماتها ببساطة على الورق لأنها لا تعكس غير الواقع ولا تصف إنساناً صنعت منه الشهادة بطلاً، فعيسى بطلاً توج بطولته بالشهادة... وهو إنسان ترجمت الشهادة عمق المعاني الإنسانية في كل سلوك صدر عنه، فهو باختصار نموذج الإنسان الذي تحدثت عنه حياته البسيطة حركات يديه نظرات عينيه ... الدعابات التي كان يوزعها في جلسات الخلان والأصدقاء بهدوء وبساطة دون تكلف، وأصبحت بعد استشهاده مأثورات تتردد على السن الرفاق والرفيقات والأصدقاء يعزون بها أنفسهم وليفردوا الحزن الذي يخيم على أجوائهم كلما انتشرت رائحة الذكرى، التي لا أبالغ حينما أقول أنها لا زالت تعبق في كل مكان جلس فيه وفي أجواء كل من عرفه وتحدث إليه ... وبعيداً عن عبارات المديح التي تفرض نفسها على

كل من يريد أن يكتب أو يتحدث عن الشهيد، هذه العبارات التي لم يستخدمها فقط في الحديث عن الأفراد وكانت لديه حقاً للشعوب للجماعات التي تناضل من أجل استرجاع معاني ومضمون الإنسان لذاتها، سأقصر حديثي عن المعنى التعبيري الذي كثفته شخصية الشهيد البطل عيسى عابد وأجد نفسي مسيراً بإرادة فولاذية لا تقاوم بإعادة نسخ عبارات رددها الرفيق في كتاباته أو مداخلاته. وسأبدأ بالرؤية السياسية التي يتسلح بها الرفيق.

رأى الشهيد أن ما يسمى الآن بالعولمة في إطار النظام الدولي الجديد بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية عبارة عن هجوم إمبريالي شامل سياسي وعسكري وفكري وثقافي وأخلاقي وهو يعكس بشكل صارخ اختلال موازين القوى لصالح قوى الإمبريالية الأمريكية، يفرض طوقاً شاملاً على حركات التحرر الوطنية الديمقراطية ويفقدها البعد الدولي المساند لنضالها ويقلل وربما يوفر فرص انتصارها الناجز، لكنه في الوقت نفسه لا يملي على الحركات الثورية الاستسلام والتنازل عن برامج نضالها ومهامها التي تفرضها تناقضات الواقع، ولا يغفل عن رؤية حقائق طرحها واقع الصراع الدولي، ففي إطار هذا النظام وفي ظل الهيمنة الشاملة استطاع الجنرال عوديد هزيمة الإمبريالية الأمريكية وتحالفها الدولي وإجبارها على الرحيل، وفي ظل هذه الظروف أيضاً تصاعد نضال حركة المقاومة اللبنانية وتحقق انتصارات يومية وتدفع العدو الصهيوني في ظل تفسخ جبهته الداخلية إلى التراجع الذي أدى في النهاية إلى اندحار الغزو الصهيوني